الدرس (02): البنيوية الشكلانية

تمهيد:

البنيوية الشكلانية من أهم أشكال الاتجاه البنيوي في النقد الأدبي النسقي، وهي تستمد هذه الأهمية من كونها من الروافد المؤسسة للنظرية النقدية البنيوية، وقد جاءت بها الشكلانية الروسية التي أطلق عليها الخصوم هذه التسمية إنقاصا من شأنها مع أن الوصف قد عبر عن محتوى هذا الاتجاه بكل ما تعنيه الكلمة.

التحليل النقدي البنيوي الشكلاني:

نعرض فيما يلي لأهم أسس التحليل النقدي البنيوي الشكلاني للنص الأدبي.

إن مدار اهتمام البنيوية الشكلية هو دراسة الجانب الهيكلي في النص الأدبي بما نادى به البنيويون الشكلانيون عامة، من أن الشكل هو الذي يسمح لأجزاء النص الأدبي أن تدخل في علاقات غير اتفاقية، وأن المعنى أو المضمون رهين التركيب الواعي للأجزاء التي تكون النص... والاقتصار على الجانب الهيكلي لدى أصحاب هذا التيار إنما يبرره الكيفية التي يشيد بها النص وهي كيفية لغوية بحتة. وفيما يأتي رصد لأهم أسس التحليل النقدي لهذا التيار:

– العمل الأدبي نص منغلق على نفسه له نظامه الداخلي الذي يكسبه وحدته الكامنة في شبكة العلاقات التي تنشأ بين كلماته و تنتظم بنيته، و هو ما يعني أن الأثر الأدبي يتمتع بتكوينه المادي المستقل، فهو قائم بذاته و وجوده غير منوط بوجود غيره. و هذا يقتضي النظر إليه من دون إحالة لا إلى مؤلفه و لا إلى الواقع الخارجي. فالنص– كما يرى علي حرب – ليس الواقع ، هو الذي يغدو المرجع[1]، و بالتالي فإنه يفرض نفسه علينا و يدعونا إلى الرجوع إليه و قراءته باستمرار.

– و لذلك، فإننا عندما نقرأ النص لا نقرأه لأنه عكس الواقع ، و لأن النص الذي يعكس الواقع ينتهي بانتهاء الواقع الذي تحدث عنه . و بذلك يتميز الأدب باستقلاليته عن أنواع الخطاب اللغوي الأخرى من خلال العلاقات الشكلية، إن مرجعية الأدب ليست الحياة الاجتماعية، و إنما الأدب نفسه.

[1]– ينظر: علي حرب، نقد النص. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص:12

– يظل كل نص مرجعا لنفسه، و مهمة الناقد تنتهي بإيضاح معنى النص بوصف أشكاله و أدائه النصي بعيدا كل البعد عن كل أحكام قيمية.

–إن النقد البنيوي لا يهتم بالمضمون المباشر بل بشكل المضمون و عناصره و بناه التي تشكل نسقية النص، و دراسة أي ظاهرة بنيويا، هي أن يباشر الدارس أو المحلل بوصف حيثياتها و تفاصيلها، و عناصرها بشكل موضوعي، من غير تدخل فكره أو عقيدته الخاصة أو تدخل عوامل خارجية في بنيان النص، فنقطة الانطلاق هي الوثيقة – النص– لا الجوانب و لا الإطار

– لا يرمي التحليل البنيوي إلى تفسير العمل الأدبي، بل إلى الكشف عن خصائصه التي تمكن القارئ من تفهمه و إدراك تجانسه و وحدته. و من هنا، ترفض البنيوية فكرة التسجيل الواقعي التي تفترض أسبقية الموضوع على وجوده الكتابي.

– يعد الأدب ، من حيث هو مادة لغوية، انزياحا عن الواقع الذي يشوهه التعبير أو الصياغة، فالأدب الواقعي شيء خرافي، انطلاقا من أن الأدب هو اللغة، فجوهره متضمن في اللغة، و اللغة قبل كل شيء هي نظام وإشارات، أو كما يرى "بارت" أن الأدب – في جوهره – لا واقعي، بل إن الأدب هو اللاواقع[1].

– العنصر الجوهري في العمل الأدبي هو أدبية الأدب، أي: ما يمثل قيمة النص

وفرادته ووجوده المميز. ومن هنا، كان مشروع القراءة البنيوية تخليص النقد الأدبي من المنطق الإيديولوجي بحكم أن قراءة الأدب قراءة خارجية معناها الاحتكام إلى معايير مسبقة، و بالتالي رؤية الأدب على غير حقيقته.. وفي هذا السياق يرى "كارل يوسونيو" أن الفن هو عملية تأمل غير نفعية للشكل[2] .

– باعتبار النص بناء لغويا، فإن مهمة الناقد البنيوي تتحدد بالكشف عن مكونات هذا النص و طريقة عملها في هذا الكيان الموحد و تحدد بتحليل هذا البناء و وصفه للكشف عن العلاقات التي تجمع بين عناصر هذا البناء المختلفة ، أي البحث عن العلاقات بين البنى المكونة للنص وصولا إلى بنية كلية تربط أجزاء العمل الأدبي في وحدة تكاملية، كل هذا وفق دراسة وصفية آنية.

[1]– جان لوى كابانس، النقد الأدبي و العلوم الإنسانية، ترجمة عبد الجليل بن محمد الأزدي، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ،ط2 ،2002 ص 119

[2]– كارل يوسونيو، اللاعقلانية الشعرية، ترجمة على إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة/ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – القاهرة، ط1، 2005، ص 385

– يحرص النقد البنيوي على تعرفه على وحدات النص، للكشف عن الأنموذج الذي ينتظمها و الأنساق العليا التي تندرج فيها، فما يهم الناقد البنيوي ليس ما يقوله هذا النص إنما الطريقة التي يقول بها، و بالتالي فإن دلالة النص الشعري ليست في معنى افتراضي مسبق له، إنما هي محصلة لكل وسائله الإشارية و المجازية و تكنيكه في التعبير

والرمز، لعل هذا ما أكده عبد العزيز المقالح حين قال :«إن العمل الإبداعي الجيد مجموعة علاقات جمالية متشابكة مع مجموعة علاقات دلالية لا يمكن فصل بعضها عن بعضها الآخر»[1].

– النص بالنسبة للمنهج البنيوي – ليس أجزاء متفرقة أو عناصر بل إنها جميعا كل متكامل ذو هيكلية من العلاقات التي تقوم بها عناصره الأساسية المكونة له تجسد وحدته الكيانية و تعطيه نسقا من المعنى العام يبين عن تماسكه و عن الدلالات الفعلية لعناصره، و يجب النظر إلى العمل الأدبي أيضا على انه بنية وظيفية لا يمكن فهم عناصرها المختلفة إلا من خلال ارتباطاتها بالمجموع.

– ينظر الناقد البنيوي إلى النص على أنه نظام من الرموز و الدلالات التي تولد و تعيش فيه، و يدرس على المستويات المختلفة: النحوية و الصرفية و الأسلوبية و الإيقاعية ... ثم يقوم بتجزئة النص إلى وحدات صغيرة، كما أنه يركز على ظواهر أسلوبية واردة في النص من تشابه وتناظر وتعارض وتضاد وتناص، وظواهر صوتية كالايقاع، والنبر والهمس.

– يلجأ التحليل البنيوي إلى الرصد المحايث للبنى النصية و التحليل الآني الواصف من خلال الهدم و البناء أو تفكيك النص الأدبي إلى تمفصلاته و إعادة تركيبها قصد معرفة طريقة بناء هذا النص. تفكيك النص ليس مقصودا أو مطلوبا لذاته، بل إجراء لأي درس منهجي للنص، و لا يهدف إلى استجلاء أجزاء النص و مفاصله الأساسية، بل إنه يسعى إلى القبض على إبداعه البنيوي العام من خلال إشارته إلى تلك الأجزاء و المفاصل[2].

[1]– عبد العزيز المقالح، أزمة القصيدة العربية، مشروع تساؤل، دار الأدب – بيروت، –،ط، 1985، ص 87

[2]– ينظر: سامي سويدان، في النص الشعري العربي مقاربات منهجية، ص:17

خلاصة:

– يتضح مما سبق أن مهمة التحليل البنيوي ليست بيان جودة النصوص أو رداءتها، ولكن محاولة إبراز كيفية تركيباتها والمعاني التي تنطوي عليها عناصر النص في تآلفها وتستند البنيوية إلى مجموعة من المصطلحات والمفاهيم الإجرائية في عملية الوصف والتحليل والملاحظة، وهي أساسية في تفكيك النص وتركيبه كالنسق والنظام، والبنية، والداخل، والعناصر، والشبكة، والعلاقات، وفكرة الثنائيات، وفكرة المستويات، والمحايثة والتزامنية، والتفاعل.

– أدى هذا الوصف الشكلي الصرف للأعمال الأدبية وعدها أنظمة لغوية إلى فكرة "موت المؤلف" التي تحدث عنها "بارت"، وتعني استبعاد دور المؤلف في أية عملية لاستنتاج معنى النص. وعليه، فإن عملية الكتابة عملية آلية لا تعبر عن مقصدية المؤلف[1] ،

إنما تغييب المؤلف/ اختفاؤه/ أو إلغاؤه في العملية النقدية، هو استبعاد لشخص منتج العمل، مما يترتب عنه استبعاد فكرة التعبير في هذا العمل. ومن هنا، كانت البنيوية نزعة مضادة للنزعة الإنسانية، فعارضت تيارات النقد الأدبي التي تربط معنى النص الأدبي وأصله بالذات الإنسانية.

[1]– ينظر: وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، ط1/ 2007، ص:140